

جامعة الفرات
كلية التربية بالحسكة
رياض أطفال - السنة الأولى

مقرر علم نفس الطفولة والمراهقة
مدرس المقرر: د. هدى حميد

المحاضرة الأولى والثانية

مقدمة: من الضروري قبل الدخول في مقرر علم نفس الطفولة والمراهقة، عرض مجموعة من المصطلحات الأساسية التي ينبغي على الطالب التزود بها، وقد تم جمع هذه المصطلحات من مجموعة من الكتب والمراجع في مجال علم النفس:

الشعور: وهو الأحاسيس والمشاعر التي لا يدركها أو يشعر بها إلا صاحبها. ويقسم فرويد الشعور إلى ثلاث مناطق؛ الأولى: هي بؤرة الشعور وهو ما تدركه وتشعر به الآن، والثانية: ما قبل الشعور، وهي الخبرات القريبة التي يسهل تذكرها أو استدعاؤها، فعادة ما يسهل علينا تذكر من قابلناهم بالأمس، والثالثة: اللاشعور، وهي الخبرات القديمة المتركمة، سلبية كانت أو إيجابية.

علم النفس: علم النفس (سيكولوجي): مصطلح ينحدر من اللغة اليونانية القديمة ويتكون من كلمتين هما (سيكو) بمعنى النفس و(لوجي) بمعنى العلم، وأول من استخدم هذه التسمية هو الفيلسوف (جزكلينوس) أستاذ الفلسفة بجامعة ماربورغ بألمانيا.

المراهقة: هي مرحلة الانتقال من الطفولة إلى الشباب وتتسم بأنها فترة معقدة من التحول والنمو تحدث فيها تغيرات عضوية ونفسية وذهنية واضحة تقلب الطفل الصغير عضواً في مجتمع الراشدين.

السلوك: هو الأنشطة المادية والنفسية كافة التي يقوم بها الكائن الحي خلال تفاعله مع البيئة المحيطة من أجل التكيف، أي كل ما يقوم به الإنسان من أقوال وأفعال ظاهرة، شعورية أو لا شعورية بل وكل ما يطرأ عليه من تغيير أو تطوير مادي أو معنوي يعتبر نمطاً من أنماط السلوك.

التعلم: يعرف التعلم بشكل عام بأنه تعديل السلوك أو تغييره نتيجة للخبرة والمران وليس نتيجة للنضج أو النمو.

التفكير: عملية عقلية معرفية تؤثر بشكل مباشر في طريقة وكيفية تجهيز ومعالجة المعلومات والمتمثلات العقلية المعرفية داخل العقل البشري.

المتغيرات: وهي العوامل أو الأسباب أو المحركات التي تؤثر في متغيرات أخرى أثناء التجريب وعادة ما تشمل التجربة متغيرات مستقلة ومتغيرات تابعة ومتغيرات دخيلة.

البيئة: وهي ما يحيط بالكائن الحي من أشياء وأحياء وتنقسم إلى بيئة خارجية مادية وبيئة داخلية شعورية لدى الإنسان، ثم تتشعب البيئة الخارجية إلى بيئة جزئية متعددة كالبيئة الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية... الخ.

التكيف: وهو الملائمة أو المواءمة أو التوافق بين الكائن الحي ومكونات البيئة المحيطة وذلك بغية تحقيق حفظ التوازن وبقاء الكائن الحي واستمراره.

النمو: هو التغير المستمر الذي يطرأ على الفرد طوال فترة حياته، وهذه التغيرات تكون في جميع نواحيه النفسية والسلوكية والعقلية والجسمية، يبدأ مع الفرد منذ ولادته مروراً بمرحلة الطفولة فالمرحلة والشباب فالشيخوخة.

العوامل التي تؤثر على النمو: تشمل مؤثرات النمو أربعة محاور رئيسة هي العوامل الوراثية والبيئية والآثار الناتجة عن إفرازات الغدد وعوامل النضج والتدريب والتعليم، وفيما يلي عرض لهذه العوامل:

أولاً: العوامل الوراثية: تمثل الوراثة كل العوامل الذاتية التي كانت موجودة لدى الفرد قبل ولادته، وتشير قوانين الوراثة إلى أن ما نرثه هو مجموعة الإمكانيات التي تتضح فيما بعد إلى خصائص وراثية تميز جنساً عن آخر وتميز بين الأفراد من الجنس الواحد.

أهداف الوراثة:

- المحافظة على النوع حيث يبقى الإنسان ينجب إنساناً والحيوان ينجب حيواناً.
- المحافظة على السلالة حيث يبقى الزنجي ينجب زنجياً والعربي ينجب عربياً والأوربي ينجب أوربياً.
- المحافظة على الجنس حيث يبقى نصف البشر أو الحيوانات الأخرى ذكوراً والنصف الآخر إناثاً.
- المحافظة على قرب الأجيال من المتوسط، أي أن يتمتع الأغلبية بصفات قريبة من المتوسط.

ثانياً: العوامل البيئية: وتشمل كل العوامل التي تؤثر على الكائن البشري منذ تكوينه في الرحم، وكل ما يؤثر على النمو خارج نطاق الوراثة يعتبر بيئياً. ومن هذه العوامل:

- 1- عمر الأم: تشير الدراسات الارتباطية الحديثة إلى أن لعمر الأم دوراً مباشراً في نمو الطفل، وأن أفضل عمر للخصوبة هو ما كان بين 20-35 سنة من عمر الأم.
- 2- التغذية: يؤثر الغذاء بأنواعه على النمو واستمرار الكائن الحي، فهو الذي يزوده بالطاقة التي تمكنه من الحركة والقيام بالوظائف المختلفة.

3- الحالة الصحية: يرتبط النمو ارتباطاً كبيراً بالحالة الصحية، فقد تؤدي بعض الأمراض إلى عرقلة النمو، لا سيما تلك الأمراض المزمنة.

4- التلوث: تلوث الهواء والماء من العوامل التي يمكن أن تؤثر على نمو الجهاز العصبي المركزي لدى الجنين، كما أن التعرض للإشعاعات قد تؤدي إلى تسممات وأمراض مختلفة.

ثالثاً: النضج والتدريب والتعلم:

من خلال تجارب مجموعة من العلماء والباحثين أمكن الخروج بمجموعة من النتائج التي تفيد في تحديد نوع العلاقة بين النضج والتدريب وتأثيرهما على التعلم، من ذلك:

1- إن تعلم خاصية معينة يكون أكثر سهولة إذا كان الفرد قد وصل إلى مستوى النضج المناسب لهذه الخاصية.

2- إن التدريب اللازم للتعلم يقل كلما كان الكائن الحي أكثر نضجاً.

3- إن التدريب قبل الوصول إلى مستوى النضج المناسب لا يؤدي إلى تحسن في التعلم أو يؤدي إلى تحسن مؤقت.

4- إن التدريب قبل الوصول إلى مستوى النضج المناسب قد يعوق التعلم في المستقبل، فالتعلم دون استعداد المتعلم قد يترتب عليه كراهيته لما يتعلم، وفشله في التعلم.

وقد أجريت تجارب في هذا المجال على صغار الطيور، حيث أخذت مجموعتان متشابهتان أحدهما ضابطة والأخرى تجريبية، دُرِبَت التجريبية على مهارة الالتقاط لمدة أسبوع ثم امتحنت ونجحت في مهارة الالتقاط في حين لم تنجح المجموعة التي لم يتم تدريبها.

وبعد تدريبها على الالتقاط لمدة أقصر من مدة التدريب الأولى نجحت هي الأخرى في هذه المهارة، وبذلك استنتج الباحثون بأن عامل النضج ساعد المجموعة الثانية على تعلم المهارة في وقت أقصر.

رابعاً: الغدد الصم

مناهج البحث في علم نفس الطفولة والمراهقة:

المنهج هو الطريقة التي تتم بها دراسة ظاهرة سلوكية أو موضوع معين، وبما أن المواضيع والمظاهر السلوكية تختلف من علم إلى آخر فإن منهجاً معيناً يناسب هذا المجال قد لا يناسب مجال آخر، والتجارب المعملية في مجال الفيزياء أو الكيمياء مثلاً تختلف عن التجارب في مجال العلوم الاجتماعية والنفسية إلا أن كلاً منها يطبق شروط البحث العلمي حتى تصبح بحوثها ونظرياتها معتمدة ومقبولة.

أولاً: المنهج التجريبي:

يعد التجريب من أدق مناهج البحث وأكثرها موضوعية حيث يطبق التجريب إجراءات وخطوات الأسلوب العلمي عن طريق ضبط المتغيرات التي قد تتدخل في سير التجربة من ناحية، وإمكانية إعادتها للتحقق من دقة نتائجها من ناحية أخرى، الأمر الذي قد يصعب تحقيقه مع بعض المناهج الوصفية، فملاحظة حالة الحزن عند الإنسان لا يمكن الحكم عليها أو إعادتها عمداً على عكس ما يحدث في التجارب المعملية، وينطبق ذلك على صعوبة التأكد من نتائج منهج الاستبطان المتبع في علم النفس لدراسة المظاهر السلوكية الداخلية إلا عن طريق التقارير اللفظية.

وتشمل التجربة العناصر والخطوات الآتية:

أ- المجموعة التجريبية: وهي التي يقوم الباحث بالتجريب عليها.

ب- المجموعة الضابطة: وهي المجموعة المشابهة أو المطابقة للمجموعة التجريبية في جميع خصائصها ما عدا متغيرات التجريب الذي يريد الباحث قياس أثرها على المجموعة التجريبية.

ج- تشمل التجربة ثلاثة أنواع من المتغيرات:

1- متغيرات مستقلة: وهي التي يريد الباحث قياس أثرها على مجموعته التجريبية.

2- متغيرات تابعة: وهي التي يريد الباحث قياس أثر المتغيرات التجريبية عليها.

3- متغيرات دخيلة: وهي تلك المتغيرات التي قد تتدخل في سير التجربة وقد تؤثر على نتائجها دون علم الباحث.

د- تتضمن التجربة الخطوات الآتية:

1- ملاحظة الظاهرة موضوع الدراسة: أي أنه لا بد من توافر ظاهرة لكي نقرر دراستها، فمثلاً قديماً لم تتم دراسة أثر الانترنت على الأطفال؛ لسبب بسيط وهو عدم وجود انترنت.

- 2- اختيار ظاهرة الدراسة: إذ أن الظواهر التي تحتاج إلى الدراسة متعددة، لذلك لا بد أن يقوم الباحث بعملية اختيار يحدد من خلالها أي الظواهر مهم وأيها أهم للدراسة.
- 3- الفروض: يعرف الفرض بأنه التفسير المبدئي للمشكلة، كما أنها تعبر عن رأي الباحث في النتائج المتوقعة للبحث. إذ تحدد الفروض النتائج المتوقعة من المتغيرات المذكورة في المشكلة، ومثل هذه التوقعات قد تؤيدها نظريات قائمة أو بحوث سابقة أو خبرة الباحث الشخصية.
- 4- جمع المعلومات وإجراء التجربة: وهي الخطوات العملية التي نقوم من خلالها بجمع معلومات حول الظاهرة موضوع الدراسة، وإجراء التجارب وتسجيل تطوراتها.
- 5- تحليل البيانات: من أجل قبول أو رفض ما افترضناه سابقاً لا بد من القيام بتحليل البيانات إحصائياً باستخدام عدة أساليب إحصائية.
- 6- استخلاص النتائج: بعد إجراء التحليلات الإحصائية يتم الوصول إلى إعلان نتائج الدراسة.
- 7- التأكد من صحة النتائج: ويتم ذلك بمقارنة النتائج بنتائج دراسات مشابهة، أو بإعادة التجربة.

ثانياً: المنهج الوصفي:

هناك خلاف بين علماء المنهجية في تحديد مفهوم المنهج الوصفي، وذلك بسبب عدم اتفاقهم على الهدف الذي يحققه المنهج الوصفي، وهل هو مجرد وصف للظاهرة المدروسة؟ أم أنه يتجاوز الوصف إلى توضيح العلاقة ومقدارها، ومحاولة اكتشاف الأسباب الكامنة وراء الظاهرة. وللخروج من هذا الخلاف تم وضع المنهج الوصفي بإطار عام تقع تحته كل البحوث التي:

- تصنف الظاهرة فقط (البحث المسحي).
- توضح العلاقة ومقدارها (البحث الارتباطي).
- تهدف لاكتشاف الأسباب الكامنة وراء سلوك معين من معطيات سابقة (البحث السببي المقارن).

أدوات جمع البيانات:

1- الملاحظة: انتباه مقصود منظم ومضبوط للظاهرة أو الأحداث أو الأمور بغية اكتشاف أسبابها وقوانينها، وتتطلب تخطيطاً واعياً من قبل الفرد.

أنواع الملاحظة:

أ- ملاحظة مباشرة: ويقوم الباحث فيها بملاحظة سلوك معين من خلال اتصاله بالأشخاص أو بالظاهرة التي يدرسها.

ب- ملاحظة غير مباشرة: يتصل الباحث بالسجلات والتقارير والذكرات التي أعدها الآخرون.

2- المقابلة: وهي الاتصال الذي يتم بين الباحث وبين الفرد أو الأفراد الذين يريد دراستهم، وقد تبنى علاقة بين الفاحص والمفحوص، ويمكن أن تتم هذه المقابلة شفويًا مع تسجيل المعلومات كتابياً أو آلياً وقد تتم كتابياً من قبل الشخص المراد دراسته بحضور الباحث.

3- الاستبيان: الاستبيان أكثر الوسائل استخداماً للحصول على معلومات وبيانات عن الأفراد، ويرجع ذلك لأسباب عديدة منها أن الاستبيان اقتصادي نسبياً، ويمكن إرساله إلى أشخاص في مناطق بعيدة، كما أن الأسئلة أو المفردات مقننة من فرد لآخر، ويمكن ضمان سرية الاستجابات، كما يمكن صياغة الأسئلة لتناسب أغراضاً محددة.

4- دراسة الحالة: عندما يكون الهدف من الدراسة متابعة نمو أحد الأشخاص بالعائلة أو المصحة أو المدرسة مثلاً فأنا نحلل تاريخ حياته جزئياً عبر مراحل نموه المختلفة وبقدر وافر من التفصيل كلما أمكننا ذلك، وتعتبر هذه الطريقة من أنجح الطرق التي يتبعها المعالج النفسي أثناء علاج الحالات المرضية، ليكتشف بعض العلاقات بين الأحداث السابقة في حياة المريض وبين حالته المرضية الحالية.

القوانين العامة للنمو:

يقصد بالقوانين العامة للنمو تلك المسارات أو الحقائق أو المظاهر التنموية التي لا بد لكل فرد أن يعبر من خلالها، وهي عامة لأنها تطبق على جميع الناس، فلا بد للجميع أن يجلس قبل أن يمشي وأن يتعلم الكلام قبل أن يتعلم القراءة.

أ- استمرار عملية النمو: النمو مفهوم شامل لجميع مظاهر الزيادة أو النقصان، والاعتقاد بأن النمو الجسمي ينتهي مع مرحلة المراهقة هو اعتقاد خاطئ حيث أن التفاعل بين أجهزة الجسم المختلفة لا يتوقف إلا بالممات.

ب- سير النمو في مراحل: يستمر النمو دون توقف، ويتميز بخصائص معينة خلال فترات معينة من العمر. حيث يكون طفل الثانية المتقدم في نموه مشابهاً لطفل الثالثة المتأخر قليلاً بينما يكون الفرق شاسعاً وواضحاً إذا ما قورن الأطفال عند منتصف المرحلة.

ج- تفاوت سرعة النمو بين مراحلها المختلفة: نلاحظ ذلك بين الأطفال من ذوي العمر الواحد، فقد يكون أحدهم أطول من الآخر أو أذكى منه في مرحلة عمرية معينة إلا أنهم يتلاحقون في وقت لاحق قبل بلوغ الرشد.

د- تأثر النمو بالظروف الداخلية والخارجية: وهو ما يتعلق بالعوامل المؤثرة في النمو؛ العوامل البيئية، الوراثة، التعلم والتدريب والنضج، والغدد الصم.

هـ- تداخل عمليات النمو: فيزيولوجيا أجزاء الجسم المختلفة التي تؤدي إلى النمو معقدة ومتداخلة يعتمد فيها كل جزء على الآخر بكيفية إيجابية تدعم زيادة واستمرار النمو ولكي نستوعب عملية من عمليات النمو لا بد من فهم علاقتها بالعمليات الأخرى.

و- الفروق الفردية في النمو: تلعب الفروق الفردية دوراً هاماً في النمو، فالأفراد يولدون متقاربين تماماً فكل طفل ينمو بطريقته الخاصة سواء من حيث سرعة النمو أو كنهه أو كيفيته.

ز- النمو يتجه من العموم إلى الخصوصية: كما هو الحال في النمو الجسمي الذي يسير من الكبير إلى الصغير، ينتقل النمو في النواحي الإدراكية والمعرفية والاجتماعية والانفعالية من العموميات إلى الخصوصيات، فنحن ندرك مثلاً اللوحة الفنية الطبيعية على أنها منظر طبيعي لغابة خضراء عند وقوع البصر عليها لأول مرة، ثم نلاحظ بأن هذا المنظر يحوي بيوت أو أشجار أو حيوانات.

مراحل النمو:

- أ- مرحلة ما قبل الميلاد: وتشمل المرحلة الجنينية منذ الإخصاب إلى الميلاد.
 - ب- مرحلة الرضاعة: من الولادة حتى السنة الثانية.
 - ج- مرحلة الطفولة المبكرة (ما قبل المدرسة): من السنة الثانية حتى الخامسة.
 - د- مرحلة الطفولة المتوسطة: من السنة الخامسة أو السادسة حتى الحادية عشرة أو الثانية عشرة.
 - هـ- مرحلة المراهقة: تبدأ المراهقة مع بداية النضوج وتتألف من مراحل فرعية تختلف فيما بينها:
 - 1- المراهقة المبكرة الممتدة بين السنتين الحادية عشرة والرابعة عشرة.
 - 2- المراهقة المتوسطة الممتدة بين السنتين الرابعة عشرة والثامنة عشرة.
 - 3- المراهقة المتأخرة وتمتد بين الثامنة عشرة والحادية والعشرين.
 - و- مرحلة الرشد: وتبدأ من نهاية المراهقة حتى بداية الشيخوخة.
 - ز- مرحلة الشيخوخة: تبدأ مع نهاية مرحلة الرشد وتنتهي ببداية مرحلة العجز أو الهرم.
- سيتم تفصيل هذه المراحل في المحاضرات القادمة ، حيث تم اعتماد كتاب علم نفس الطفولة والمراهقة للدكتور مالك سليمان مخول.